بسم الله الرحمن الرحيم

شرح حديث

سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ

بقلم

سليمان بن محمد اللهيميد

السعودية – رفحاء

موقع رياض المتقين

www.almotaqeen.net

القناة العلمية على التلجرام

https://t.me/aloheemeed

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ الإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ) متفق عليه .

==========

١-قوله (**سبعة** ...) .

هذا لا يدل على الحصر، بدليل أنه جاءت أحاديث فيها بعض الأعمال (غير المذكورة في الحديث) فيها هذا الفضل.

كحديث (مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّه) رواه مسلم ، وهاتان الخصلتان غير السبعة الماضية، فدل على أن العدد المذكور لا مفهوم له .

قال ابن حجر : العدد المذكور لا مفهوم له ..ثم تتبعتُ بعد ذلك الأحاديث الواردة في مثل ذلك فزادت على عشر خصال...

وقال الصنعاني -رحمه الله- قوله: (سَبْعَةٌ) مفهوم العدد لا اعتبار به، فقد ورد إظلال العرش لجماعة آخرين، جمعها الحافظ ابن حجر في كتاب سماه: (معرفة الخصال الموصلة إلى الظلال) وتبعه في ذلك السخاوي والمصنف (السيوطي) فألَّفا فيها، ومجموعها نحو سبعين خصلة .

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- قوله : (سبعة) لا تدل على الحصر؛ لأنه قد وردت أحاديث صحيحة في أُناس يظلهم الله في ظله، وليسوا من هؤلاء السبعة، لكن الرسول ﷺ أحيانًا يذكر أشياء محصورة في سياقٍ واحدٍ، ولكنها لا تدل على أنَّ ما سواها لا يثبُت له هذا الحكم. .

مثال:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (أُعْطِيتُ خَمْساً، لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنْ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ، وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً) .

فقوله: (خمساً) ظاهره يدل على أن الرسول ﷺ اختص بهذه الخمس فقط، لكن مفهوم العدد غير مقيد، وأن العدد لا مفهوم له، فما أعطيه النبي ﷺ أكثر من ذلك.

فعند مسلم (وأعطيت جوامع الكلم، وختم بي النبيون).

وعنده أيضاً من حديث حذيفة (جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة).

وعند النسائي (وأعطيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش).

ولأحمد من حديث علي (أعطيت مفاتح الأرض، وسميت أحمد، وجعلت أمتي خير الأمم).

وعند البزار عن أبي هريرة (وغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر، وأعطيت الكوثر، وإن صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة).

وعند البزار عن ابن عباس (وكان شيطاني كافراً فأعانني الله عليه فأسلم).

٢-قوله (**يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ**) .

اختلف العلماء في المراد في هذا الظل:

القول الأول: المراد في ظل عرشه.

وإلى هذا ذهب الطحاوي، وابن رجب، والقرطبي، وابن حجر، وهو ظاهر صنيع ابن منده، والسيوطي، وحافظ حكمي.

أ- ويدل عليه حديث سلمان عند سعيد بن منصور بإسناد حسن (سبعة يظلهم الله في ظل عرشه ...) وحسن إسناده ابن حجر، والعيني، والسيوطي.

ب- أن الظل جاء مضافاً إلى العرش في عدة أحاديث غير هذا:

كحديث (من أنظر معسراً أو وضع عنه، أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه ...) رواه الترمذي.

وحديث (المتحابون في الله على منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله).

قال ابن رجب -رحمه الله-خرَّج الإمام أحمد والترمذي وصححه من حديث أبي هريرة عن النَّبيّ ﷺ قال (مَن نفَّس عن غريمه أو محا عنه، كان في ظل العرش يوم القيامة) وهذا يدل على أنَّ المراد بظل الله: ظلُّ عرشه.

وقال ابن حجر مرجحاً هذا القول : ويؤيده أيضًا تقييد ذلك بيوم القيامة، كما صرَّح به ابن المبارك في روايته عن عبيد الله بن عمر، وهو عند المصنف في كتاب الحدود، وبهذا يندفع قول مَن قال: المراد: ظل طوبى أو ظل الجنة؛ لأن ظلَّهما إنَّما يحصل لهم بعد الاستقرار في الجنة، ثم إنَّ ذلك مشتَرَكٌ لجميع مَن يدخلها، والسياق يدل على امتياز أصحاب الخصال المذكورة، فيُرَجَّح: أنَّ المراد: ظل العرش.

القول الثاني: المراد بالظل المضاف إلى الله في الحديث رحمته.

وإلى هذا ذهب ابن عبد البر في أحد قوليه، وذكره البغوي، والبيهقي وغيرهما.

وأصحاب هذا القول، منهم من يفسر الرحمة بدخول الجنة كابن عبد البر، ومنهم من يفسرها بالرعاية والكرامة والحماية، كما يقال: أسبل الأمير أو الوزير ظله على فلان، بمعنى الرعاية والحماية.

وممن فسرها بهذا: عيسى بن دينار، والبيهقي، والبغوي، والقاضي عياض.

القول الثالث: أن المراد بالظل في الحديث: ظل يخلقه الله، لأنه في ذلك الوقت لا يوجد شيء يظل الخلائق من الشمس، فلا بناء ولا شجر ولا رمال ولا حجر، إلا ما يخلقه الله تعالى، وهذا اختيار الشيخ ابن عثيمين.

٣-قوله (**الإِمَامُ الْعَادِلُ**) .

المراد به: صاحب الولاية العظمى، ويلتحق به كل مَن ولي شيئًا من أمور المسلمين، فعدل فيه .

وأحسن ما فُسِّر به العادل: أنَّه الذي يتبع أمر الله بوضع كل شيء في موضعه من غير إفراط ولا تفريط. (الفتح)

فائدة : ١

بدأ به لعظيم أثره وكبير فائدته .

قال ابن رجب : وأول هذه السبعة: الإمام العادل: وهو أقرب الناس من الله يوم القيامة، وهو على منبر من نور على يمين الرحمن، وذلك جزاء لمخالفته الهوى، وصبره عن تنفيذ ما تدعوه إليه شهواته وطمعه وغضبه، مع قدرته على بلوغ غرضه من ذلك؛ فإنَّ الإمام العادل دعته الدنيا كلها إلى نفسها، فقال: إني أخاف الله رب العالمين، وهذا أنفع الخلق لعباد الله، فإنه إذا صلح صلحت الرعية كلها، وقد رُوي أنَّه ظلُّ الله في الأرض؛ لأنَّ الخلق كلَّهم يستظلون بظلِّه، فإذا عدل فيهم أظلَّه الله في ظلِّه.

وقال العيني -رحمه الله- قدَّم الإمام العادل في ذكر السبعة؛ لكثرة مصالحه، وعموم نفعه، فالإمام العادل يصلح الله به أمورًا عظيمة، ويقال: ليس أحد أقرب منزلة من الله تعالى بعد الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- من إمام عادل، وقال ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما-: ما حكم قوم بغير حق إلا سلط الله عليهم إمامًا جائرًا.

وقال الكرماني –رحمه الله– قُدِّم على إخوته الستة؛ لكثرة مصالحه، وعموم نفعه .

فائدة : ٢

قال الملا علي القاري –رحمه الله– قوله: «إمامٌ عادلٌ» مَن يلي أمور المسلمين من الأمراء وغيرهم؛ لأن الناس كانوا في ظله في الدنيا، فجُوْزِيَ بنظيره في الآخرة، جزاءً وفاقًا، وقدَّمه لأنه أفضل السبعة، فإنهم داخلون تحت ظله.

فائدة : ٣

قال ابن عبد البر –رحمه الله– ويدخل تحت قوله ﷺ: «إمامٌ عادلٌ» بالمعنى دون اللفظ: كل مَن لزمه الحكم بين اثنين، ويوضح لك ذلك حديث عبد الله بن دينار، عن ابن عمر عن النبي ﷺ: «كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته» الحديث .

وقال الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله– إنَّما نال هذا الأجر وغيرُه من أهل العدل لا ينالونه؛ لأن عدل الإمام دال على أنَّ عدله أمر ذاتي وخلقة، وليس تخلقًا؛ لماذا؟ لأن الإمام ليس أحد فوقه، لو جار لا يعارض، فعدله دليل على حسن طويته، وكمال نيته.

فائدة : ٤

فضائل العدل:

أولاً: أن الله أمر به.

فقال تعالى (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ...).

ثانياً: أن الله يحب أهله.

قال سبحانه (وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ).

ثالثاً: على منابر من نور.

قال ﷺ (إن المقسطين عند الله على منابر من نور الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا) رواه مسلم

رابعاً: في ظل الله يوم القيامة.

قال ﷺ (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل ...) متفق عليه.

٤ –قوله (**وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ**) .

أي : ومن الذين يظلهم الله في ظله : **شَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ** .

فائدة : ١

اختلف أهل اللغة ، وتبعهم الفقهاء ، في تحديد سن الشباب متى يبدأ ومتى ينتهي .

والأقرب : أن زمن " الشاب " يبدأ بالبلوغ ، وينتهي إلى الثلاثين ، أو اثنين وثلاثين ، ثم تبدأ مرحلة " الكهولة " .

قال ابن الأثير –رحمه الله– والكهل من الرجال: من زاد على الثلاثين سنة إلى الأربعين، وقيل من ثلاث وثلاثين إلى تمام الخمسين.

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين –رحمه الله– الشاب ما بين الخمس عشرة سنة إلى الثلاثين .

فائدة : ٢

خص الشاب بذلك لأن الشهوة غالبة عليه، فحين يجاهد نفسه على طاعة الله في هذا السن فهو دليل على قوة إيمانه ومجاهدته لنفسه .

قال ابن هبيرة –رحمه الله–: أما الشابُّ الناشئ في عبادة الله؛ فإنه إذا كان في شبابه –وهو الأجدر أن يترخص فيه الْمُتَرَخِّصُوْن– صاحب تقوى، كان في شيبه أحق بالتقوى، وأخلق بها، فذكر النبي ﷺ الشباب؛ ليستدل به على صلاحية علو السن، ومعنى «نشأ في عبادة الله» أي: نشأ مسلمًا بين أبوين مسلمين، غذَّوَاه بالإسلام، فعرف الحق .

وقال الكرماني –رحمه الله– قوله (شابٌّ) لم يقل بدله: رجل؛ لأن العبادة في الشباب أشد وأشق؛ لكثرة الدواعي، وغَلَبَةِ الشهوات، وقُوَّةِ البواعث على متابعة الهوى. .

وقال المناوي –رحمه الله– قوله (وشابٌّ) خصَّهُ؛ لكونه مَظِنَّة غلبة الشهوة، ومثله الشابَّة، «نشأ في عبادة الله» أي: ابتدأ عمره فيها، فلم يكن له صَبْوَةٌ .

وقال ابن الملقن –رحمه الله– وإنَّما كان ذلك لغلبة التقوى التي بسببها ارتفعت الصبوة، فالشباب شعبة الجنون .

وقال المباركفوي –رحمه الله– (نَشَأَ) أي : نما وتربى .(بعبادة الله) أي : لا في معصية ، فجوزي بظل العرش ؛ لدوام حراسة نفسه عن مخالفة ربه .

فائدة : ٣

فيه: فضل من سلم من الذنوب، وشغل بطاعة ربِّهِ طول عمره .

٥–قوله (**وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ**)

أي : ومن الذين يظلهم الله في ظله : **وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ** .

فائدة : ١

قال ابن حجر –رحمه الله– قوله (معلق في المساجد) هكذا في الصحيحين، وظاهره: أنَّه من التعليق، كأنَّه شبَّهَهُ بالشيء المعلَّق في المسجد، كالقنديل مثلًا، إشارة إلى طول الملازمة بقلبه، وإنْ كان جسده خارجًا عنه، ويدل عليه رواية الجوزقي: «كأنما قلبه معلق في المسجد».

ويحتمل أنَّ يكون من العلاقة، وهي شدة الحب، ويدل عليه رواية أحمد: «معلق بالمساجد» وكذا رواية سلمان: «من حبها»، وزاد الحموي والمستملي: «متعلق» بزيادة مثناة بعد الميم، وكسر اللام، زاد سلمان: «من حبها» وزاد مالك: «إذا خرج منه حتى يعود إليه» .

فائدة : ٢

قال النووي –رحمه الله– ومعناه: شديد الحب لها والملازمة للجماعة فيها، وليس معناه: دوام القعود في المسجد .

وقال ابن هبيرة –رحمه الله– أمَّا المعلق القلب بالمسجد؛ فإنه يكون فوق أنْ يلازم مسجدًا واحدًا، ولكن يكون همَّتُهُ بمساجد المسلمين، وقيام الجماعات فيها، متفقدًا عمارتها، وأهلها، فيكون قلبه معلقًا ها هنا من العلاقة، من قولك: علقتُ بكذا، إذا أشرب قلبك ذلك، إلا أن قوله: «معلَّق» بتشديد اللام، يقتضي تكثير ذلك منه .

وقال ابن الملقن –رحمه الله– أي: شديد المحبة لها، وملازمة الجماعة فيها، ومعناه: دوام القعود فيها للصلاة والذكر والقراءة، وهذا إنما يكون من استغرقه حب الصلاة، والمحافظة عليها، وشَغَفَهُ بها، وحصل له هذِه المرتبة؛ لأن المسجد بيت الله، وبيت كل تقي، وحقيق على المزور إكرام الزائر، فكيف بأكرم الكرماء ؟

فائدة : ٣

فضل التعلق والتردد على بيوت الله وانتظار الصلاة .

عن أبي هريرة .قال: قال رسول الله ﷺ (ألا أدلكم على ما يمحوا الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط فذلكم الرباط) رواه مسلم.

وخاصة بالظُلَم .كما قال ﷺ (بشر المشائين بالظلم بالنور التام يوم القيامة) رواه أبو داود .

وعنه . قال: قال رسول الله ﷺ (كل سلامى من الناس عليه صدقة، .. وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة) متفق عليه.

وعنه قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (... فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ الْمَلاَئِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلاَّهُ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلاَ يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلاَةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاَةَ) متفق عليه .

قال ابن عبد البر رحمه الله: هذا الحديث من أفضل ما يروى في فضل المنتظر للصلاة، لأن الملائكة تستغفر له، وفي استغفارهم له دليل على أنه يغفر له – إن شاء الله – ألا ترى أن طلب العلم من أفضل الأعمال، وإنما صار كذلك – والله أعلم – لأن الملائكة تضع أجنحتها له بالدعاء والاستغفار.

قال ابن رجب : وإنما كان ملازمة المسجد مكفراً للذنوب، لأن فيه مجاهدة للنفس، وكفّاً لها عن أهوائها، فإنها لا تميل إلا إلى الانتشار في الأرض لابتغاء الكسب، أو لمجالسة الناس ومحادثتهم، أو للتنزه في الدور الأنيقة والمساكن الحسنة ومواطن النّزه ونحو ذلك.

فائدة : ٤

سيد البشر خير من تعلق قلبه بالمسجد :

جعل بيوته إلى جوار المسجد؛ وهذا شأن المحب مع المحبوب.

كَانَ إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ جَلَسَ فِي مُصَلاَّهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَسَنًا "رواه مسلم ".

كان إذا رجع من سفر أو غزو بدأ بالمسجد، فصلى فيه ركعتين ثم ينقلب إلى بيته.

وفي مرض موته وبين السكرات والإفاقة يسأل عن أحوال المسجد والمسلمين فيقال: هم ينتظرونك. ولما وجد في نفسه خفة خرج يهادى به بين الرجلين حتى أقيم إلى جنب أبي بكر في الصلاة.

فائدة : ٥

السلف وعمارة المساجد .

قال ابن جريج: كان المسجد فراش عطاء عشرين سنة، وكان من أحسن الناس صلاة.

قال سعيد بن المسيب: ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد.

قال ربيعة بن زيد: ما أذن المؤذن لصلاة الظهر منذ أربعين سنة إلا وأنا في المسجد إلا أن أكون مريضاً أو مسافراً.

قال يحيى بن معين: لم يفت الزوال في المسجد يحيى بن سعيد أربعين سنة.

وقال وكيع بن الجراح: "كان الأعمش قريبًا من سبعين سنة، لم تفته التكبيرة الأولى".

وقال الشيرازي: إذا أقيمت الصلاة ولم تروني في الصف، فاطلبوني في المقبرة .

٦-قوله (**وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ**) .

أي : ومن الذين يظلهم الله في ظله : **وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْه** .

فائدة : ١

(**في الله**) تعليلية، أي: لله لا لغرض، ولا لِعَرَض .

فائدة : ٢

قال ابن حجر –رحمه الله– عُدَّتْ هذه الخصلة واحدة، مع أنَّ متعاطيها اثنان؛ لأن المحبة لا تتم إلا باثنين، أو لما كان المتحابان بمعنى واحد، كان عد أحدهما مغنيًا عن عد الآخر؛ لأن الغرض عدُّ الخصال، لا عدُّ جميع مَن اتصف به .

فائدة : ٣

فضل عظيم للمحبة في الله ، ومن فضائل الحب في الله :

أنها سبب لمحبة الله للعبد.

قال ﷺ (قال الله تعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيَّ والمتجالسين فيَّ) رواه مالك.

والله عز وجل يظل المتحابين في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

كما في حديث الباب .

وعن أبي هريرة. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلاَلِي الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّي). رواه مسلم

والحب في الله والبغض في الله دليل على كمال إيمان العبد.

عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (من أحب في الله وأبغض في الله وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان).

والحب في الله سبب لحلاوة الإيمان وطعمه.

كما في حديث أنس . قال : قال ﷺ (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: ... وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله) متفق عليه

وقال أيضاً ﷺ (من أحب أن يجد حلاوة الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله) رواه أحمد.

والمرء بمحبته لأهل الخير لصلاحهم يلتحق بهم ويصل إلى مراتبهم وإن لم يكن عمله بالغاً مبلغهم.

ففي الصحيحين عن ابن مسعود قال: (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم؟ قال: المرء مع من أحب) متفق عليه.

والله يكرم من أحب عبداً في الله.

فعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: (ما أحب عبدٌ عبداً لله إلا أكرمه الله) رواه ابن أبي الدنيا.

أن المتحابين في الله لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء.

عن معاذ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (قال الله تعالى: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء). رواه الترمذي وصححه

فائدة : ٤

قال ابن تيمية –رحمه الله– إذا أحب المخلوق لله، لا لغرض آخر، فكان هذا من تمام حبه لله، فإنَّ محبة محبوب المحبوب من تمام محبة المحبوب؛ فإذا أحب أنبياء الله، وأولياء الله لأجل قيامهم بمحبوبات الحق، لا لشيء آخر، فقد أحبهم لله لا لغيره.

قال ابن رجب: ومن تمام محبة الله: محبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه، فمن أحبّ شيئاً مما كرهه الله، أو كره شيئاً مما يحبه الله، لم يكمل توحيده و صدقه في قوله لا إله إلا الله، و كان فيه من الشرك الخفي بحسب ما كرهه مما أحبه الله، و ما أحبه مما يكرهه الله.

فائدة : ٤

قال أبو حامد الغزالي –رحمه الله– قال ﷺ (ما تحابَّ اثنان في الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدُّهما حُبًّا لصاحبه) ويقال: إنَّ الأخوين في الله إذا كان أحدهما أعلى مقامًا من الآخر رُفع الآخر معه إلى مقامه، وإنَّه يلتحق به كما تلتحق الذرية بالأبوين والأهل بعضهم ببعض؛ لأن الأُخوة إذا اكتُسبت في الله لم تكن دون أخوة الولادة .

فائدة : ٥

عن المقدام بن معدكرب . قال : قال ﷺ (إذا أحبَّ أحدُكُم أخاهُ فليُعْلِمْهُ أنه يُحِبُّه) رواه أبو داود .

والحكمة من إخباره :

قال الخطابي –رحمه الله– معناه: الحث على التَّودد والتَّألف؛ وذلك أنه إذا أخبره بأنه يحبه استمال بذلك قلبَه، واجتلب به ودَّه.

وقال الغزالي –رحمه الله– وإنما أمر بالإخبار لأن ذلك يوجِب زيادة حب، فإن عَرَف أنك تحبه أحبك بالطبع لا محالة، فإذا عَرَفْتَ أنه أيضًا يحبك زاد حبك لا محالة، فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين ويتضاعف، والتحاب بين المؤمنين مطلوب في الشرع ومحبوب في الدين .

وقال محمد عبد الرحمن المباركفوري –رحمه الله– وذلك لأنه إذا أخبره بذلك استمال قلبه، واجتلب ودَّه، فبالضرورة يحبه فيحصل الائتلاف، ويزول الاختلاف بين المؤمنين .

وقال المناوي –رحمه الله– قال البغدادي: إنما حث على الإعلام بالمحبة إذا كانت لله، لا لطمع في الدنيا، ولا هوى بل يستجلب مودته، فإن إظهار المحبة لأجل الدنيا والعطاء تملُّق وهو نقص .

وقال الصنعاني –رحمه الله– «فليُخْبره أنه يحبّه» علَّل ذلك في حديث عن مجاهد مرسلًا : فإنه أبقى للأُلفة وأثبت للمودة .

وقال الشيخ فيصل ابن المبارك –رحمه الله – فيه: استحباب إخبار المحبوب في الله بحبه، لتزداد المحبة والألفة.

٧–قوله (**وَرَجُلٌ دعته امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ**) .

أي : ومن الذين يظلهم الله في ظله : **وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ** .

فائدة : ١

قال النووي –رحمه الله– معنى (دعته) أي: دعته إلى الزنا بها، هذا هو الصواب في معناه، وذكر القاضي فيه احتمالين أصحهما: هذا، والثاني: أنه يحتمل أنها دعته لنكاحها، فخاف العجز عن القيام بحقها، أو أن الخوف من الله تعالى شغله عن لذات الدنيا وشهواته .

قال ابن علان –رحمه الله– قوله: «ذات» صاحبة «منصب» إشارة لغناها، «وجمال» إشارة لما يدعو لموافقتها، ومع ذلك كفّ نفسه عنها .

فائدة : ٢

قال النووي –رحمه الله– وخص ذات المنصب والجمال لكثرة الرغبة فيها، وعسر حصولها، وهي جامعة للمنصب والجمال، لا سيما وهي داعية إلى نفسها، طالبة لذلك، قد أغنت عن مشاق التوصل إلى مراودة، ونحوها، فالصبر عنها لخوف الله تعالى، وقد دعت إلى نفسها، مع جمعها المنصب والجمال، من أكمل المراتب، وأعظم الطاعات، فرتب الله تعالى عليه أن يظله في ظله .

وقال القاضي عياض –رحمه الله– وخَصَّ ذات المنصب والجمال؛ لكثرة الرغبة فيها، والمنصب: الشرف، ومنصب الرجل ونصابه: أصله .

وقال ابن الملك –رحمه الله– (وجمال) أي: لها جمال كامل، والمرأة إذا كانت شريفة، ذات خصال حميدة، تكون النفس أميل إليها، ممن لم تكن بهذه الصفة.

فائدة : ٣

فقال (إني أخاف الله) الظاهر: أنَّه يقول بلسانه؛ ليزجرها، وتعتبر بقلبها، ويحتمل أنه بقلبه.

قال الباجي –رحمه الله– (قال: إني أخاف الله) أي: كان امتناعه لمخافة الله –عز وجل–، وإيثارًا لما عند الله تعالى، ويحتمل أنْ يريد بقوله ﷺ (قال: إني أخاف الله) أنه قال لها ذلك، وراجعها به، وأظهر لها وجه امتناعه عليها، ويحتمل أن يريد به: أنه قال ذلك في نفسه، فمنع نفسه بذلك عما دعته إليه –والله أعلم .

فائدة : ٤

قال أبو العباس القرطبي –رحمه الله– وقول المدعو في مثل هذا (إني أخاف الله) وامتناعه لذلك: دليلٌ على عظيم معرفته بالله تعالى، وشدّة خوفه من عقابه، ومتين تقواه، وحيائه من الله تعالى، وهذا هو المقام اليوسفي.

وقال ابن الملقن –رحمه الله– (فقال: إني أخاف الله) فهو رجل عصمه الله، ومنَّ عليه بفضله حتى خافه بالغيب، فترك ما يهوى، كقوله تعالى (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ) وقوله (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ) فتفضل الله على عباده بالتوفيق والعصمة، وأثابهم على ذلك .

وقال ابن هبيرة –رحمه الله– أمَّا الرجل الذي دعته امرأة إلى نفسها، فقال (إني أخاف الله) فإنه شَرُفَ مقامُه بأن ثَبَّتَ عقله، وغرز دينه عند استدعاء المرأة منه غشيانها، على ما في الرجال من الشهوة والقوة، وفي النساء من الحياء والرِّكَّة، وهذا من مقامات البلايا العظام؛ فلذلك شرف .

فائدة : ٥

فضل العفة .

أولاً: أنّها من خصال أهل الإيمان:

قال تعالى (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ. والَذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ. إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِين).

ثانياً: أنّها من أسباب الفوز بظلّ الله يوم القيامة.

لحديث الباب .

ثالثاً: أنّ أهل العفّة ينالون عون الله.

ففي سنن التّرمذي وغيره عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (ثلاثةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُم: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَاف) رواه الترمذي.

رابعاً: أن النبي ﷺ كان يدعو بها.

عن ابن مسعود قال (كان النبي ﷺ يدعو: اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى) رواه مسلم.

خامساً: أنّها من أسباب سعادة المرء.

كما قال بعض السّلف: والله للذّة العفّة أعظم من لذّة الذّنب.

فائدة : ٦

قال الغزالي: ولا معيشة أهنأ من العفّة، ولا عبادة أحسن من الخشوع، ولا زهد خير من القنوع، ولا حارس أحفظ من الصمت، ولا غائب أقرب من الموت.

قال حكيم: إذا أراد الله بعبد خيراً ألهمه الطاعة، وألزمه القناعة، وأكساه العفاف.

عن وهب بن منبه أنّه قال: الإيمان عريان ولباسه التقوى، وزينته الحياء، وماله العفّة.

فائدة : ٧

أن الصبر عن المعصية: لا سيما مع قوة الداعي، يحتاج إلى صبر شديد .

ولهذا قال ﷺ (سبعة يظلهم الله في ظله ... ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله).

ومن ذلك صبر يوسف عندما دعته امرأة العزيز.

ومن ذلك الرجل الإسرائيلي الذي كان يراود ابنة عمه عن نفسها، ... فلما جلس منها مجلس الرجل من امرأته قالت له: اتق الله، ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقام عنها وهي أحب الناس إليه.

وقد قال تعالى (وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً).

وقال تعالى (أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاماً).

وقال تعالى (أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا).

وقال تعالى (إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ).

فائدة : ٨

فيه أن الخوف من الله أكبر دافع للردع عن المعاصي.

لقوله (ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله).

وفي حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة (... قال الآخر: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانتْ لِيَ ابْنَةُ عمٍّ كانتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ» وفي رواية: «كُنْتُ أُحِبُّهَا كَأَشد مَا يُحبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءِ، فَأَرَدْتُهَا عَلَى نَفْسهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا ففَعَلَت، حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا» وفي رواية: «فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، قَالتْ: اتَّقِ الله ولا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلاَّ بِحَقِّهِ، فانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتركْتُ الذَّهَبَ الَّذي أَعْطَيتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فانفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا).

وقال يوسف (السجن أحب إلي مما يدعونني إليه) .

فائدة : ٩

فضائل الخوف من الله :

أولاً: أنه من علامات الإيمان.

قال تعالى (فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ).

ثانياً: مدح الله أنبياءه بالخوف منه.

كما قال تعالى (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ).

ثالثاً: الخوف من الله يجعل الإنسان في ظل العرش يوم القيامة.

كما في حديث الباب (ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه) فالخشية الموجبة لدمع العين تؤدي إلى أن النار لا تمس العين يوم القيامة.

رابعاً: الخوف سبب للنجاة من كل سوء

قال ﷺ (ثلاث منجيات: وذكر منها: خشية الله تعالى في السر والعلانية).

خامساً: أثنى الله على ملائكته بشدة خوفهم منه.

كما قال تعالى (وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ).

سادساً: من صفات الرجال العظماء.

قال تعالى (رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ).

سابعاً: من صفات الأبرار خوفهم من عدم القبول.

قال تعالى (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ) أي: والذين يعطون ويعملون ويخافون أن لا يتقبل منهم.

ثامناً: وعد الله الخائفين الجنة.

كما قال تعالى (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ).

تاسعاً: أنه من صفات نبينا محمد ﷺ وأصحابه.

قال ﷺ (إني أخشاكم لله وأتقاكم له) رواه مسلم.

وعن أنس قال (خطبنا رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط قال: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، فغطى أصحاب رسول الله وجوههم ولهم خنين) متفق عليه.

عاشراً: من أسباب النجاة من النار.

قال ﷺ (عينان لا تمسهما النار: عين باتت تحرس في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله) رواه الترمذي.

وقد قال ﷺ (من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة).

الحادي عشر: الخوف سبب للبعد عن المعاصي.

قال تعالى (قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ. مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ).

وكما في حديث الباب .

قال بعض السلف: إذا سكن الخوف في القلب أحرق موضع الشهوات منه.

الثاني عشر: سبب في إخلاص العمل لله.

قال تعالى (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً. إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً).

الثالث عشر: سبب لعلو الهمة في العبادة.

قال تعالى (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ).

فائدة : ١٠

فضل الإخلاص، وأنه من أعظم أسباب صرف الفتنة عن القلب.

قال ابن تيميه في الفتاوى (١/ ٦٠): فلا تزول الفتنة عن القلب إلا إذا كان دين العبد كلّه لله عز وجل ... ويوسف عليه السلام ما نجى من فتنة المرأة إلا بالإخلاص لله تعالى قال تعالى (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ).

وقال رحمه الله (١٠/ ٢٦١): فإن قوة إخلاص يوسف عليه السلام وخشيته من الله عز وجل كان أقوى من جمال امرأة العزيز وحسنها وحبه لها. وبه تكمل العبودية لله تعالى.

وقال رحمه الله (١٠/ ١٩٨): وكلما قوي إخلاص العبد كملت عبوديته.

٨-قوله (**ورَجُلٌ تَصَدَّقَ صدقة فأخفاها حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ**) .

أي : ومن الذين يظلهم الله في ظله : **ورَجُلٌ تَصَدَّقَ أصدقة فأخفاها حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ**) .

فائدة : ١

فضل الصدقة وخاصة إذا كانت بالسر .

قال ابن رجب: ... فإن أكثر الناس يرى أنه يخشى الله في العلانية وفي الشهادة، ولكن الشأن في خشيته في الغيب إذا غاب عن أعين الناس وقد مدح الله من يخافه بالغيب .

فائدة : ٢

قوله (حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ) المقصود منه: المبالغة في إخفاء الصدقة، بحيث إنَّ شماله مع قربها من يمينه، وتلازمهما لو تصور أنها تعلم لما علمت ما فعلت اليمين لشدة إخفائها، فهو على هذا من مجاز التشبيه، ويؤيده رواية حماد بن زيد عند الجوزقي: «تصدق بصدقة كأنما أخفى يمينه من شماله . (الفتح)

قال ابن هبيرة -رحمه الله-أمَّا الصدقة التي يخفيها المتصدِّق حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه؛ فإنَّ هذا هو المبالغة في الصدقة .

فائدة : ٣

فضل الصدقة السرية .

قال النووي رحمه الله: قوله (ورجل تصدق بصدقة فأخفاها ...) وَفِي هَذَا الْحَدِيث فَضْل صَدَقَة السِّرّ، قَالَ الْعُلَمَاء: وَهَذَا فِي صَدَقَة التَّطَوُّع فَالسِّرّ فِيهَا أَفْضَل؛ لِأَنَّهُ أَقْرَب إِلَى الْإِخْلَاص وَأَبْعَد مِنْ الرِّيَاء. وَأَمَّا الزَّكَاة الْوَاجِبَة فَإِعْلَانهَا أَفْضَل، وَهَكَذَا حُكْم الصَّلَاة فَإِعْلَان فَرَائِضهَا أَفْضَل، وَإِسْرَار نَوَافِلهَا أَفْضَل. ... (شرح مسلم)

وقال ابن رجب : وضرب المثال لذلك عَلَى طريق المبالغة (حَتَّى لا تعلم شماله مَا تنفق يمينه) .

وهذا دليل عَلَى قوة الإيمان والاكتفاء باطلاع الله عَلَى العبد وعلمه بِهِ، وفيه مخالفة للهوى ومجاهدة للنفس؛ فإنها تحب إظهار الصدقة، والتمدح بِهَا عِنْدَ الخلق، فيحتاج فِي إخفاء الصدقة إلى قوة شديدةٍ تخالف هوى النفس. (فتح الباري)

وقال تعالى (إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) .

(إِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) أي: وإن تسروها وتدفعوها للفقراء فهو أفضل لكم لأنه أبعد عن الرياء.

قال ابن الجوزي: وإنما فضلت صدقة السر لمعنيين:

أحدهما: يرجع إلى المعطي وهو بُعْدُه عن الرياء، وقربه من الإخلاص، والإعراض عما تؤثر النفس من العلانية.

والثاني: يرجع إلى المعطَى، وهو دفع الذل عنه بإخفاء الحال، لأن في العلانية ينكر.

ثم قال: واتفق العلماء على إخفاء الصدقة النافلة أفضل من إظهارها.

وقال النووي : قَالَ الْعُلَمَاء: وَهَذَا فِي صَدَقَة التَّطَوُّع فَالسِّرّ فِيهَا أَفْضَل؛ لِأَنَّهُ أَقْرَب إِلَى الْإِخْلَاص وَأَبْعَد مِنْ الرِّيَاء .

وقال السعدي: ... وإن أخفاها وسلمها للفقير كان أفضل، لأن الإخفاء على الفقير إحسان آخر، وأيضاً فإنه يدل على قوة الإخلاص، وأحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله (من تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه).

وقال ابن كثير: فيه دلالة على إن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها، لأنه أبعد عن الرياء، إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة، من اقتداء الناس به، فيكون أفضل من هذه الحيثية.

فالأصل أن الإسرار أفضل، لهذه الآية، ولما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة. قال: قال رسول الله ﷺ (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: ... ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه).

وقال القرطبي: قوله تعالى (فَنِعِمَّا هِيَ) ثناء على إبداء الصدقة، ثم حكم على أن الإخفاء خير من ذلك.

ولذلك قال بعض الحكماء: إذا اصطنعت المعروف فاستره، وإذا اصطُنع إليك فانشره.

وقال العباس بن عبد المطلب ﷺ لا يتمّ المعروف إلا بثلاث خصال: تعجيلُه وتصغيرُه وسترهُ؛ فإذا أعجلته هنيّته، وإذا صغّرته عظّمته، وإذا سترته أتْمَمْته.

وقال بعض الشعراء فأحسن:

زاد معروفُك عندي عِظَماً. . .أنــه عنــدك مستورٌ حقِيرْ

تَتَنــاســاه كـأَنْ لَمْ تـأتِـه. . .وهو عند الناس مشهور خطِيرْ

وقال رحمه الله: ذهب جمهور المفسرين إلى أن هذه الآية في صدقة التطوّع؛ لأن الإخفاء فيها أفضل من الإظهار، وكذلك سائر العبادات الإخفاءُ أفضل في تطوّعها لانتفاء الرياء عنها.

وقال ابن القيم : وأما إيتاؤها الفقراء ففي إخفائها من الفوائد: الستر عليه، وعدم تخجيله بين الناس وإقامته مقام الفضيحة وأن يرى الناس أن يده هي اليد السفلى وأنه لا شيء له فيزهدون في معاملته ومعاوضته، وهذا قدر زائد من الإحسان إليه بمجرد الصدقة مع تضمنه الإخلاص وعدم المراءاة وطلبهم المحمدة من الناس، وكان إخفاؤها للفقير خيراً من إظهارها بين الناس، ومن هذا مدح النبي ﷺ صدقة السر وأثنى على فاعلها وأخبر أنه أحد السبعة الذين هم في ظل عرش الرحمن يوم القيامة ولهذا جعله سبحانه خيرا للمنفق وأخبر أنه يكفر عنه بذلك الإنفاق من سيئاته ولا يخفى عليه سبحانه أعمالكم ولا نياتكم فإنه بما تعملون خبير.

فائدة : ٤

للصدقة فضائل كثيرة منها:

أولاً: أنها برهان على صحة الإيمان.

كما في قال ﷺ (والصدقة برهان) رواه مسلم.

قال ابن رجب: وأما الصدقة فهي برهان، ... فكذلك الصدقة برهان على صحة الإيمان.

ثانياً: أنها تطهير للنفس.

قال تعالى (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ).

ثالثاً: أنها تغفر الذنوب.

قال ﷺ (والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار) رواه الترمذي.

رابعاً: أن الصدقة تزيد المال.

قال ﷺ (ما نقصت صدقة من مال) رواه مسلم.

خامساً: أنها تظلل صاحبها يوم القيامة.

قال ﷺ (العبد في ظل صدقته يوم القيامة) رواه أحمد.

وقال ﷺ (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: ... ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه).

سادساً: أنها وقاية النار.

قال ﷺ (اتقوا النار ولو بشق تمرة) متفق عليه.

وقال ﷺ للنساء (يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الِاسْتِغْفَارَ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ) متفق عليه.

سابعاً: دعاء الملائكة.

كما قال ﷺ (ما من صباح إلا وينزل ملكا: يقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً). متفق عليه

ثامناً: أن فيها علاجاً من الأمراض.

روي عنه ﷺ أنه قال (داووا مرضاكم بالصدقة).

قال ابن شقيق (سمعت ابن المبارك وسأله رجل: عن قرحةٍ خرجت في ركبته منذ سبع سنين، وقد عالجها بأنواع العلاج، وسأل الأطباء فلم ينتفع به، فقال: اذهب فأحفر بئراً في مكان حاجة إلى الماء، فإني أرجو أن ينبع هناك عين ويمسك عنك الدم، ففعل الرجل فبرأ).

تاسعاً: أن الله يدفع بالصدقة أنواعاً من البلاء.

كما في وصية يحيى عليه السلام لبني إسرائيل (وآمركم بالصدقة، فإن مثل ذلك رجل أسره العدو فأوثقوا يده إلى عنقه، وقدموه ليضربوا عنقه فقال: أنا أفتدي منكم بالقليل والكثير، ففدى نفسه منهم).

فالصدقة لها تأثير عجيب في دفع أنواع البلاء ولو كانت من فاجرٍ أو ظالمٍ، بل من كافر، فإن الله تعالى يدفع بها أنواعاً من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم وأهل الأرض مقرون به لأنهم قد جربوه. (الوابل الصيب)

عاشراً: أنه لا يبقى لصاحب المال من ماله إلا ما تصدق به.

كما في قوله تعالى (ومَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُم).

ولما سأل النبي ﷺ عائشة عن الشاة التي ذبحوها ما بقى منها: قالت: ما بقى منها إلا كتفها، قال (بقي كلها غير كتفها). رواه الترمذي

الحادي عشر: أن يضاعف للمتصدق أجره.

كما في قوله عز وجل (إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيم).

وقال تعالى (مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُون).

وقال تعالى (يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ).

وقال ﷺ (إن الله يربي الصدقة كما يربي أحدكم فلوه) متفق عليه.

عن أبي هُرَيْرَةَ قال. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ – وَلاَ يَقْبَلُ اللَّهُ إِلاَّ الطَّيِّبَ – إِلاَّ أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ) متفق عليه.

الثاني عشر: أن فيها انشراحاً للصدر.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (مَثَلَ الْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ قَدِ اضْطُرَّتْ أَيْدِيهِمَا إِلَى ثُدَيِّهِمَا وَتَرَاقِيهِمَا، فَجَعَلَ الْمُتَصَدِّقُ كُلَّمَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ انْبَسَطَتْ عَنْهُ حَتَّى تُغَشِّيَ أَنَامِلَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ وَجَعَلَ الْبَخِيلُ كُلَّمَا هَمَّ بِصَدَقَةٍ قَلَصَتْ وَأَخَذَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا) متفق عليه.

فالمتصدق كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه، وانفسح بها صدره، فهو بمنزلة اتساع تلك الجبة عليه، فكلمَّا تصدَّق اتسع وانفسح وانشرح، وقوي فرحه، وعظم سروره، ولو لم يكن في الصَّدقة إلا هذه الفائدة وحدها لكان العبدُ حقيقياً بالاستكثار منها والمبادرة إليها وقد قال تعالى (ومَن يُوقَ شُحَّ نَفسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُون).

الثالث عشر: الفضل الكبير.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَال (بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلاَةٍ مِنَ الأَرْضِ فَسَمِعَ صَوْتاً فِي سَحَابَةٍ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلاَنٍ. فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ قَالَ فُلاَنٌ. لِلاِسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي فَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتاً فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلاَنٍ لِاسْمِكَ فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا قَالَ أَمَّا إِذَا قُلْتَ هَذَا فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثاً وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَه) رواه مسلم.

الرابع عشر : صاحب الصدقة موعود بالخلف.

كما قال تعالى (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) أي يخلفه عليكم في الدنيا بالبذل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب.

الخامس عشر : أنها إرغام للشيطان وحسن ظن بالله.

قال تعالى (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ).

السادس عشر : لا حسد إلا لمن أنفق في وجوه الخير.

قال ﷺ (لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ، فَهْوَ يَقْضِى بِهَا وَيُعَلِّمُهَا).

فائدة : ٥

قال السمرقندي: عليك بالصدقة بما قلّ أو كثر، فإن في الصدقة عشر خصال محمودة خمس في الدنيا وخمس في الآخرة:

أما التي في الدنيا:

فأولها: تطهير المال كما قال النبي ﷺ (ألا إن البيع يحضره اللغو والحلف والكذب، فشوبوه بالصدقة).

والثاني: أن فيها تطهير البدن من الذنوب، كما قال الله تعالى (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ...).

والثالث: أن فيها دفع البلاء والأمراض، كما قال النبي ﷺ (داووا مرضاكم بالصدقة).

والرابع: أن فيها إدخال السرور على المساكين، وأفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمنين.

والخامس: أن فيها بركة في المال وسعة في الرزق، كما قال تعالى (ومَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ).

وأما الخمس التي في الآخرة:

فأولها: أن تكون الصدقة ظلاً لصاحبها في شدة الحر.

والثاني: أن فيها خفة الحساب.

والثالث: أنها تثقل الميزان.

والرابع: جواز على الصراط.

والخامس: زيادة الدرجات في الجنة.

٩-قوله (وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ) .

أي : ومن الذين يظلهم الله في ظله : **وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ .**

فائدة : ١

فضل من ذكر الله خالياً لوحده بعيداً عن الناس فدمعت عينه خشية وتعظيماً لله .

قال النووي: فِيهِ فَضِيلَة الْبُكَاء مِنْ خَشْيَة اللَّه تَعَالَى، وَفَضْل طَاعَة السِّرّ لِكَمَالِ الْإِخْلَاص فِيهَا.

وقال ابن هبيرة -رحمه الله- أما الذي ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه؛ فإنه تحقق إخلاصه في البكاء؛ لأنه قد يبكي الإنسان في الجماعة؛ ولا يبكي في الخلوة، فأخبر رسول الله ﷺ أنَّ الاعتبار بمن ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه، مُعَرِّفًا أهل البكاء أن الاعتبار بما يفيض من الدموع في الخلوة؛ حيث لا يعلم ذلك إلا الله سبحانه .

فائدة : ٢

قال ابن حجر -رحمه الله- قوله (خاليًا) أي: من الخلو؛ لأنه يكون حينئذٍ أبعد من الرياء، والمراد: خاليًا من الالتفات إلى غير الله، ولو كان في ملأ، ويؤيده رواية البيهقي: «ذَكَرَ اللهَ بين يديه»، ويؤيد الأول رواية ابن المبارك وحماد بن زيد: «ذَكَرَ الله في خلاء» أي: في موضع خالٍ، وهي أصح. .

وقال ابن علان -رحمه الله- قوله (خاليًا) قُيِّد به؛ لأنه حينئذٍ أبعد عن الرياء، وأقرب إلى الإخلاص، وإلا فالمراد: البكاء خوفًا من الله، مخلصًا له، سواء كان في الخلا أو في الملا.

قال ابن الملقن -رحمه الله- وفي اشتراط الخلوة بذلك حضٌّ وندبٌ على أنْ يجعل المرء وقتًا من خلوته للندم على ذنوبه، ويفزع إلى الله تعالى بإخلاص من قلبه، ويتضرع إليه في غفرانها، فإنَّه يجيب المضطر إذا دعاه، وأنْ لا يجعل خلوته كلها في لذاته، كفعل البهائم التي قد أمنت الحساب في المساءلة عن الفتيل والقطمير على رؤوس الخلائق؛ فينبغي لمن لم يأمن ذلك، وأيقن أن يطول في الخلوة بكاؤه، ويتبرَّم بجنانه، وتصير الدنيا سجنه؛ لما سلف من ذنوبه .

فائدة : ٣

فضل ذكر الله تعالى ، وللذكر فضائل عظيمة:

منها: أنه يورث العبد ذكر الله له.

كما قال تعالى (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ).

قال ابن القيم: ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفاً.

وقال ﷺ (قال تعالى: من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأٍ ذكرتُه في ملأٍ خير منهم) متفق عليه.

ومنها: أنه سبب لنزول السكينة وغشيان الرحمن.

كما في حديث أبي هريرة في قوله ﷺ (لا يقعد قوم في مجلس يذكرون الله فيه إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده) رواه مسلم.

ومنها: أنه غرس الجنة.

كما في قوله ﷺ (لقيت ليلة اسري بي إبراهيم الخليل فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر) رواه الترمذي.

ومنها: أن دوام ذكر الرب يوجب الأمان من نسيانه وهو سبب شقاء العبد.

فإن نسيان الرب سبحانه يوجب نسيان نفسه ومصالحها، قال تعالى (وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ).

ومنها: أن الذكر يعدل عتق الرقاب ونفقة الأموال.

كما قال ﷺ (من قال في يوم مائة مرة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي..). متفق عليه

ومنها: أن العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله.

كما في الحديث (... وآمركم أن تذكروا الله تعالى، فإن مثل ذلك رجل خرج العدو في أثره سراعاً، حتى أتى إلى حصن حصين، فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله ...) رواه الترمذي.

قال ابن القيم: فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة، لكان حقيقاً بالعبد أن لا يفتر لسانه من ذكر الله تعالى.

وكما في الحديث السابق (من قال في يوم مائة مرة: لا إله إلا الله وحده ...، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك).

ومنها: أن سيد المرسلين كان كثير الذكر.

كما في حديث عائشة قالت (كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه) رواه مسلم.

ومنها: أن مجالس الذكر مجالس الملائكة، فليس من مجالس الدنيا لهم مجلس إلا مجلس يذكر الله فيه.

كما سبق في حديث (لا يقعد قوم في مجلس يذكرون الله فيه إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده) رواه مسلم.

وكما في حديث أبي هريرة. قال: قال ﷺ (إن لله ملائكة فُضُلاً سيارة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادّوا: هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ...) رواه مسلم.

ومنها: أن الله يباهي بالذاكرين ملائكته.

كما في حديث معاوية (أن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه، فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام، قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: أما إني لم استحلفكم تُهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني: أن الله تبارك وتعالى يباهي بكم الملائكة) رواه مسلم.

ومنها: أن الذكر يعطي الذاكر قوة حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لا يطيق فعله بدونه.

كما في الحديث (أن النبي ﷺ علم ابنته فاطمة وعلياً أن يسبحا كل ليلة إذا أخذا مضاجعهما ثلاثاً وثلاثين، ويحمدا ثلاثاً وثلاثين، ويكبرا أربعاً وثلاثين، لما سألته الخادم، فعلمها ﷺ ذلك وقال: إنه خير لك من خادم) متفق عليه.

قال ابن القيم: قيل: إن من داوم على ذلك وجد قوة في بدنه مغنية عن خادم.

ومنها: أن كثرة ذكر الله أمان من النفاق.

قال تعالى في المنافقين وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً).

وقال كعب: من أكثر ذكر الله برئ من النفاق.

ومنها: أن العبادات إنما شرعت لذكر الله.

ومنها: أنه من أحب الأعمال إلى الله.

كما أوصى ﷺ رجلاً بقوله (لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله) رواه الترمذي.

ومنها: أنه سبب لاشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل.

فإن العبد لابد أن يتكلم، فإن لم يتكلم بذكر الله تعالى، وذكر أوامره، تكلم بهذه المحرمات أو بعضها.

فائدة : ٤

من أقوال السلف في ذكر الله تعالى:

قال أبو الدراء: لكل شيء جلاء، وإن جلاء القلوب ذكر الله.

وقال معاذ: ما عمل العبد عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله.

وقال ابن عباس: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خنس.

وقال كعب: من أكثر من ذكر الله برأ من النفاق.

وقال ابن تيمية: الذكر للقلب مثل الماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء.

وقال ابن القيم: الذكر باب المحبة وشارعها الأعظم وصراطها الأقوم.

وقال: من أراد أن ينال محبة الله فليلهج بذكره.

وقال: وكل شيء له صدأ، وصدأ القلب الغفلة والهوى، وجلاؤه الذكر والتوبة.

وعن عكرمة: أن أبا هريرة كان يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة ويقول: أسبح بقدر ذنوبي.

وقال ابن السماك: رأيت مسعراً في النوم، فقلت: أي العمل وجدت أنفع؟ قال: ذكر الله.

وقال أحمد بن حنبل: صحبت هشيْماً أربع سنين أو خمس، ما سألته عن شيء إلا مرتين هيبة له، وكان كثير التسبيح بين الحديث، يقول بين ذلك: لا إله إلا الله، يمد بها صوته.

وقال رياح القيسي: لي نيف وأربعون ذنباً، قد استغفرت لكل ذنب مئة ألف مرة.

وقالت رابعة العدوية لصالح المري: يا صالح، من أحب شيئاً أكثر من ذكره.

فائدة : ٥

فضل البكاء من خشية الله تعالى ، وللبكاء من خشية الله فضائل:

أولاً: سبب للنجاة من النار.

قال ﷺ (لن يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع) رواه الترمذي.

وقال ﷺ (عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله) رواه الترمذي.

ثانياً: البكاء مع الذكر سبب لإظلال الله للعبد.

كما في حديث الباب (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: .. ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه) .

ثالثاً: أن البكاء من خشية الله سمة من سمات الصحابة.

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، قال: فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين) متفق عليه.

أمثلة على بكاء الصحابة:

ثبت في ترجمة عمر بن الخطاب أنه كان في وجهه خطان أسودان.

وكان عثمان إذا وقف على قبر يبكي حتى تبتل لحيته من البكاء.

ثبت عن ابن عمر أنه ما قرأ قول الله (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) إلا بكى حتى يغلبه البكاء.

قال أبو سليمان الداراني: لكل شيء علم، وعلم الخذلان ترك البكاء من خشية الله ".

فوائد عامة من الحديث

٩-**قال ابن حجر** -رحمه الله- ذِكْر الرجال في هذا الحديث لا مفهوم له، بل يشترك النساء معهم فيما ذُكِرَ، إلا إنْ كان المراد بالإمام العادل: الإمامة العظمى، وإلا فيمكن دخول المرأة حيث تكون ذات عيال، فتعدل فيهم، وتخرج خصلة ملازمة المسجد؛ لأن صلاة المرأة في بيتها أفضل من المسجد، وما عدا ذلك، فالمشاركة حاصلة لهن حتى الرجل الذي دعته المرأة، فإنه يتصور في امرأة دعاها ملك جميل مثلًا، فامتنعت خوفًا من الله تعالى مع حاجتها، أو شاب جميل دعاه ملك إلى أنْ يزوجه ابنته مثلًا، فخشي أنْ يرتكب منه الفاحشة، فامتنع مع حاجته إليه .

١٠-**قال ابن القيم** : أنك إذا تأملت السبعة الذين يظلهم الله عز وجل في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، وجدتهم إنما نالوا ذلك الظلَّ بمخالفة الهوى .

١١- **قال ابن رجب** — رحمه الله – هؤلاء السبعة اختلفت أعمالهم فِي الصورة، وجمعها معنى واحد، وَهُوَ مجاهدتهم لأنفسهم، ومخالفتهم لأهوائها، وذلك يحتاج أولاً إلى رياضة شديدة وصبر عَلَى الامتناع مِمَّا يدعو إليه داعي الشهوة أو الغضب أو الطمع، وفي تجشم ذَلِكَ مشقة شديدة عَلَى النفس، ويحصل لها بِهِ تألم عظيم، فإن القلب يكاد يحترق من حر نار الشهوة أو الغضب عِنْدَ هيجانها إذا لَمْ يطفء ببلوغ الغرض من ذَلِكَ، فلا جرم كَانَ ثواب الصبر عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ إذا اشتد الحر فِي الموقف، ولم يكن للناس ظل يظلهم ويقيهم حر الشمس يومئذ، وكان هؤلاء السبعة فِي ظل الله – عز وجل –، فَلَمْ يجدوا لحر الموقف ألماً جزاءً لصبرهم عَلَى حر نار الشهوة أو الغضب فِي الدنيا. (فتح الباري)

١١-**وقال ابن رجب** رحمه الله أيضاً : ومن هنا عظم ثواب من أطاع الله سراً بينه وبينه، ومن ترك المحرمات التي يقدر عليها سراً.

فأما الأول: فمثل قوله تعالى (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ).

وفي حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله (ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه).

وأما الثاني: فمثل قوله ﷺ في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله (ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله) .

١٢- أن العمل كلما كان أخلص كان أعظم ثواباً وأجراً .

١٣-فضل مخالفة الهوى .

١٤-**قال ابن رجب** : وأفضلُ الأعمال خشية الله فِي السر والعلانية، وخشية الله فِي السر إنما تصدر عَن قوة إيمان ومجاهدةٍ للنفس والهوى، فإن الهوى يدعو فِي الخلوة إلى المعاصي، ولهذا قيل: إن من أعز الأشياء الورع فِي الخلوة.